

معرض كاريكاتير نسوي في مصر يسيء إلى رسامات حقيقيات

رَفَع لافته «قضايا المرأة» الحيوية لا يعني السطحية في الفن

لا يعني الإبداع الحر للمرأة بمعناه الواسع الانحصار في قضايا نسوية ضيقة. فمن المفترض أن المرأة المبدعة أكثر إلماماً بهذه القضايا الشائكة التي تخصها وأقدر على طرحها ومناقشتها ومعالجتها فنياً واجتماعياً. وهنا تأتي الصعوبة، فالمحك الحقيقي هو قدرة المرأة على الإبداع حال رغبتها في التعبير الجمالي عن مشكلاتها المتجذرة، وإلا سقطت في الفجاجة والدعائية.

عن قضاياها وأزماتها الملحة عبر الكاريكاتير، ذلك الفن الأكثر نفاذاً إلى العمق، والأصدق في تعرية هذه الجراح النسوية، الفردية والاجتماعية.

الصورة الأولية العامة التي عكسها المعرض هي الاستسهال والإتكاء على ما هو غير إبداعي محض، فتناسى رابطة لرسامات الكاريكاتير لا يعني أن كل امرأة تتقدم للانضمام يتم قبولها بوصفها فنانة محترفة، وكل عمل نسوي يتماس مع قضية، مثل التحرش أو التنمر أو الذكورية أو الزواج المبكر يجري توصيفه على أنه إبداع سائني مكتمل الأركان.

فالنوايا الحسنة لا تكفي وحدها لصياغة لوحات كاريكاتيرية نابها، أو بورتريهات شخصية متميزة، كما أن تصدير فكرة براقعة أو عنوان عريض مثل «قضايا المرأة» لا يبرر وجود أعمال ضحلة لا تمثل وجه المرأة المبدعة؛ بما يليق بها وبالفن الصافي.

وجه الاستسهال من جانب إدارة المعرض في التقييم النوعي للكثير من الأعمال المنتقاة للفنانات المشاركات، ضربة في مقتل للمعرض برمتها، إذ كادت الفعالية ككل، على ما فيها من بعض الأعمال الكاريكاتيرية اللائقة والجيدة تُوسم بأنها إساءة لمستوى الرسامات المصريات الحقيقيات، كما أن المعرض بهذا الشكل الذي ظهر عليه يحرك الشكوك حول الية تأسيس الروابط التي تقام في عالم الفنون وسبل إدارتها، وما إذا كانت تخضع لاعتبارات الجمالة والشللية.

وقعت أغلبية الأعمال المشاركة في فخ سيطرة الفكرة على طبيعة التناول والمعالجة، إذ تقدمت القضية الساخنة إلى الأمام، وافترقت طرائق التعبير إلى الابتكار والعمق، وتجلت ذلك على نحو أوضح في الشق الثاني من المعرض، وهو القسم الخاص بالبورتريهات.

بدت البورتريهات مقحمة على عنوان المعرض الكاريكاتيري، فهي لا تنتمي إلى فن السخرية والمفارقة والفكاهة، وإنما هي رسوم اعتيادية، فقيرة وبدائية، لمثلثات وفنانات من مشاهير النجوم في مصر، ممن جسدن قضايا المرأة في الأعمال الدرامية، وازدادت رسامات توجيه الحتية

شريف الشافعي
كاتب مصري



القاهرة - بعض المبدعات يسقطن في الدعائية، فتسوي أعمالهن سطحية فنية، كمؤشر إلى تهافت حضورها في الواقع، وهشاشة تأثيرها في المجتمع المحيط. ومما ذكرناه فبدلاً من أن يحمل معرض نسوي للكاريكاتير هموم التحرش التي تواجهها المرأة، جاء معرض «هي» بالقاهرة ليكتشف أن الروابط التي تقام في عالم الفنون هي مجاميع من غير المهويين، تستهدف الكلام عن قضية ساخنة وتقدمها بتخطيطات سيئة. وما يصدم أكثر أن بعض المشاركات تقدمن برسومات رديئة لمثلثات وفنانات كبيرات في مصر على أنها كاريكاتير.

المجاملة والشللية

جاء معرض «هي» الجماعي لرابطة رسامات الكاريكاتير المصرية ليثير تساؤلات مهمة حول المستوى الفني لما يجري تقديمه بوصفه «إبداع المرأة»، وهو المعرض الذي انتظم منذ أيام في مكتبة القاهرة الكبرى بالتوازي مع احتفالات «يوم المرأة» حول العالم.

تراوحت مستويات الأعمال المعروضة بمقدار ما امتلكتها من عناصر التجديد والإدهاش وتوليد الابتسامه من قلب الأنساء

احتمى المعرض القاهري لرسامات الكاريكاتير باكثر من مظلة، ليتوارى تحتها، خارج المعايير الفنية والجمالية المجردة، منها: الاحتفاليات المحلية والعربية والدولية على مدار مارس الجاري بيوم المرأة العالمي، وأنه معرض مقام برعاية كيان نسوية، على رأسها «رابطة رسامات الكاريكاتير»، الجهة المختصة.

كما أن موضوع المعرض المحدد سلفاً هو مناصرة المرأة والتعبير



النوايا الحسنة لا تكفي لتقديم لوحات نابها

وضعت رثة يجب تجاوزها، انطلاقاً من أن «نثر البليبة ما يضحك»، فالبسمات إذا أمكن توليدها بالكاريكاتير فهي مشحونة بالألام التي تكابدها المرأة العربية، وتحول دون مشاركتها في بناء المجتمع، وتوجهت الفنانة بشكل مباشر إلى الأزمات والقضايا النسوية الأكثر إلحاحاً، التي تعانيتها المرأة في المرحلة الحالية.

ولجان إلى الصورة أكثر من الاعتماد على التعليقات والعبارة التوضيحية، لأن المشاهد المرئية أكثر قدرة على تجسيد الحالة النسوية المتجددة، وبلورة ما يحبط بالنساء من حرمان وقسوة وقضبان، وقبوض، وقبوض، وكمامات على وجوههن.

وجاء عرض اللوحات من خلال مسارين متوازيين: في أروقة مكتبة القاهرة الكبرى، وعبر البث الإلكتروني في السوشيال ميديا. ويبقى التأثير الفعلي مرهوناً بالقيمة الفنية، وما ألقاه وأخفها قياشاً بالدعوات التي أطلقت.

اشكال القهر والتميز، وانتقاد القوانين التعسفية والممارسات الظالمة ضدها، وإثارة أهم المشكلات التي تتعرض لها، والضغوط الأسرية المختلفة التي تكبلها وتخنق صوتها.

وقد التقطت هويدا إبراهيم، قوميسير المعرض، كادرات متعددة للاحتجاج على وضعية المرأة، المقهورة والمضطهدة التي تواجه بمفردها منظومة العادات والتقاليد والموروث النمطي والقمع الذكوري، ما يعرقل خطواتها ومسيرتها، ويشدها إلى الوراء، ويجعل محطات حياتها بمثابة انتقال من قفص حديدي إلى آخر.

ووفق الرؤية ذاتها التي تعاطت مع الفن من خلال دوره الاجتماعي في الغمام الأول، مضت أغلبية الفنانات، حيث التقين في أعمالهن التي تجاوزت السبعين على إعلاء صوت المرأة كضحية زاعقة وإظهار قضاياها من خلال اللقطات والمواقف والمشاهد القريبة، والانتقاد اللاذع، والسخرية من

وتوليد الابتسامه من قلب الأنساء، على أنه من الملاحظ أن طموح الفكرة ظل عادة أعلى من اجديتات التنفيذ المأمول فنياً.

الصراخ كهدف

على هذه الماخذ والسلبيات كلها، فإن ما بدا في صالح المعرض، هو إفساحه المجال بحرية لرسوم الكاريكاتيركي تواكب اهتمامات الشارع المصري والعربي وأحداثه الراهنة، ممثلة في «قضايا المرأة».

ولا يزال الكاريكاتير يحتفظ بخصوصيته في التفاعل مع قضايا الرأي العام، بوصفه فناً بصرياً ووسيلة إعلامية متكيفة بذاتها، سواء اقترنت بالصحافة ومواقع الإنترنت أو لم تقترن، فهو صوت شعبي سموع.

جاءت ثيمة المعرض صرخة نسوية جريئة كغاية على الصعيد الاجتماعي، وتظاهرة جماعية للدفاع عن حقوق المرأة وتعزيز حضورها ومناصرتها ضد كافة

لهن على ما أنجزته لصالح المرأة وقضاياها.

هذه الأعمال لا تندرج تحت إطار الكاريكاتير، والحقيقة أنها هي ذاتها لم تدع أنها رسوم كاريكاتيرية، لذلك شغلت شفا مستقلاً بالمعرض، لكن يبقى غير مفهوم: لماذا قبلتها إدارة رابطة يدل اسمها على أنها مختصة فقط بـ«رسامات الكاريكاتير»، ولماذا مارست رسامات الكاريكاتير فن البورتريه، دون الإلمام الكافي بأدواته؟

الشق الأول من المعرض، وهو القسم الخاص بالبورتريهات الصريحة، التي شغلت الجانب الأكبر، وأسهمت فيها العشرات من الفنانات، منهن هويدا إبراهيم رئيسة «رابطة رسامات الكاريكاتير»؛ وقوميسير المعرض، وغادة مصطفى، وهيام عزت، وهبة الطناحي، وأخريات.

تراوحت مستويات هذه الأعمال ودرجات تفوقها، بمقدار ما امتلكتها من عناصر التجديد والإدهاش والإمتاع

رسام جزائري يجسد مآسي الهجرة السرية في كتاب قصص مصورة

«المهاجرون هم ثمرة السياسة الوطنية وتعمل الدولة والفساد». لا يتردد زروقي في التطرق لكل المواضيع مهما كانت حساسيتها أو قوتها.

الكتاب يقدم رسوما كاريكاتيرية حول قضايا الهجرة السرية كما يتطرق لعدة مواضيع إنسانية وسياسية حساسة

وقد نشر الرسام الجزائري المقيم في تونس منذ عشر سنوات، بين 2011 و2013 مدونة حول شخصية سلفي غاضب يحمل اسم يحيى بولحية «يصدر فتوى كل يوم»، كلها تنقسم بالفراية. ويأمل زروقي أن يكون كتابه المقبل حول الجزائر التي عاش فيها سنوات العنف في التسعينات أو ما عُرف بـ«العشرية السوداء». وقد نشر في مواقع التواصل الاجتماعي بعض الرسوم التي أظهر فيها الحراك السياسي في بلاده والذي انطلق منذ العام 2019. ويطلع بعض المحتجين هذه الرسوم على قمصانهم خلال الاحتجاجات. ويوضح «مرة أخرى، سأعتمد مجدداً على قصة حقيقية في الحي الذي نشأت فيه في العاصمة الجزائر».

السياسات المعتمدة من بلدانهم تفضي إلى حدوث ألام كبيرة، في ظل ماس كثيرة طول هؤلاء المهاجرين، من حالات اغتصاب وخطف وتعذيب وقتل وغيرها من جرائم وممارسات لا إنسانية.

وقد اعترض خفر السواحل الليبي، بدعم مالي من الاتحاد الأوروبي، الآلاف من المهاجرين بحرا وارجعهم إلى ليبيا، رغم تنديد الأمم المتحدة ومنظمات حقوقية بظروف توقيفهم وطريقة معاملتهم.

ويعتبر زروقي أن تمويل أوروبا لوقف المهاجرين بهذه الطريقة ومعاملتهم بقسوة لا إنسانية يرقى إلى مرتبة جريمة، إذ إن القوى الأمنية الليبية تتشكل من مجموعات مسلحة لا تسيطر عليها الدولة بدرجة كبيرة، وبالتالي يشبه ذلك «إعطاء المال لمليشيات، هذا صادم»، وفق الرسام.

ويرسم زروقي في كتابه ما يشبه قادة أوروبيين يزورون سجناً في ليبيا «يجدون أنفسهم فاعلين بشكل مباشر في ما قاموا ببنائه».

كما ينتقد الفنان بشدة ما يعتبره نفاقاً من الدول المغاربية في هذه الأزمنة، من خلال رسم يظهر حكومة تنظم عمليات هجرة غير قانونية لملء خزينتها بالموارد المالية. ويضيف

اعتمد عليها في أعماله. ويحبس زروقي دمعه لدى استذكاره شهادات أدلت بها مهاجرات خلال مقابلات إذاعية معهن، ولا يفهم غياب رد الفعل تجاه الفظائع المرتكبة في ليبيا في حق المهاجرات.

ويقول الرسام «إنها مأساة أخذت في الانتعاش، لكن كما يحصل مع كورونا، بات الأمر اعتيادياً وأصبحت الوفيات أرقاما. يجب حصول صدمة».

منذ حادثة مقتل الطفل السوري ألان كردي الذي أثار العثور على جثته عند سواطي تركيا في العام 2015 صدمة في العالم بأسره، لقي أكثر من 20 ألف شخص حتفهم خلال عبور المتوسط وفقاً لإحصاءات الأمم المتحدة.

كما أن الألفا آخرين من المهاجرين عاشوا في جحيم الأوضاع في ليبيا.

في منطقة «كل عائلة لديها أخ أو عم أو جار هاجر من دياره بصورة غير قانونية»، يبري زروقي أن «مهمته» تقتضي التطرق إلى أوجه هذه الرحلات الإنسانية إلى أوروبا. ويظهر غلاف الكتاب

عقبة الخيارات المعتمدة من الأوروبيين، إذ يصور مهاجراً يغرق بسبب عدم امتلاكه المال اللازم لشراء عوامات نجاة يمؤلها الاتحاد الأوروبي. ويرى الرسام الجزائري أن «أوروبيين كثيرين لا يصدقون أن

ويقول زروقي «تُخيل لبعض الناس أنني نسجت قصصاً قاسية، لكن المزج بين حس الفكاهة والحكايات الحقيقية يجعل الأمور بهذه الصورة القاتمة».

ولمساعدة القراء على التمييز بين الواقع والرسوم الكاريكاتيرية التي ينجزها، أضاف الفنان في نهاية الكتاب رموز استجابة سريعة يجلبهم إلى المقالات الصحافية والشهادات التي

عالم أفضل». وتناول فضلاً عن ذلك في رسوماته، موضوع العلاقة بالدين والحب والعائلة بشكل مختلف وغريب. وفي كتابه المصور الثاني، الصادر نهاية مارس المنقضي في فرنسا، يتطرق سليم زروقي، البالغ 43 عاماً، بأسلوبه الساخر واللاذع إلى موضوع الهجرة غير القانونية، مستلهماً رسوماته من أحداث واقعية.

تونس - «كيف تنجح في الهجرة غير القانونية»، عنوان صادم يحمله الكتاب الساخر لرسام الكاريكاتير الجزائري سليم زروقي، لكن في تقدير المؤلف «ما يصدم أكثر هي مرارة الواقع».

وانتقد زروقي بشدة في أعمال سابقة الأفكار المسبقة للمجتمعات المغاربية وكذلك العربية في مؤلف بعنوان «100» بلاد، كيف يمكن التخلص منا من أجل



سليم زروقي: ما تفعله بعض الدول بالمهاجرين جريمة